

## الاستراتيجية الإسلامية واقتصاديات الحرب

• تربط العسكرية الإسلامية بين الاستراتيجية والاقتصاد برباط وثيق يتمثل في انتمائهما إلى أصل واحد هو «القوة» بمفهومها الشامل . فإن مفهوم القوة في الآية الكريمة : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ يشمل جميع مصادر القوة المادية والمعنوية .

ثم ورد بعد ذلك في نفس الآية ما يعبر عن الاقتصاد من مال وإنفاق : ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

[ الأنفال : ٦٠ ]

• هذا الارتباط الوثيق بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد يعني أمرين في غاية الأهمية :

١ - أن التنمية الاقتصادية في الأمة الإسلامية ، وإن كانت تخضع لقوانين خاصة بها ، إلا أن عليها أن تراعى في أهدافها وخططها الاعتبارات العسكرية .

٢ - في زمن الحرب ، فإن اقتصاد الأمة الإسلامية يتقرر كلية وفقاً للمتطلبات العسكرية (وهو ما يعرف باقتصاد الحرب) ومن أجل ذلك

يجب أن يكون البنيان الاقتصادي قادرًا على التكيف مع متطلبات الحرب واحتياجاتها ، وأن تتولى القيادة السياسية العسكرية العليا تنسيق وتوجيه جميع موارد وإمكانات الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية نحو تحقيق الغاية السياسية من الحرب .

هـ ولهذا الارتباط أيضًا شأن خطير في تقدير الإسلام يتمثل في تحذير الله سبحانه لنا من التهاون في امثال أمره بأن ننفق أموالنا في سبيل الله وهو تعريضنا لأن نلقى بأنفسنا إلى التهلكة .. يقول الله تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[ البقرة : ١٩٥ ]

فبعد أن أمرنا بالإففاق ، نهانا بقوله ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ لنفهم الحكمة في الأمر بالإففاق والمعنى أنكم إذا لم تبدلوا في سبيل الله وفي سبيل تأييد الحق وحماية أنفسكم وبلادكم كل ما تستطيعون من المال ومن استعداد للدفاع ، فقد أهلكتم أنفسكم .

إن إففاق الأموال والاستعداد للقتال قبل وقوعه هو الذي يبقى البلاد من الهلاك ، والضن بالمال والحرص عليه وإمساكه عن البذل في سبيل الخير والبر والدفاع عن الوطن والحق والنفس ، يوقع الأمة في الهلاك ، ويعرضها لأن ينتهك العدو حرمتها ، ويغزو بلادها ويستعبد أبناءها ، ويعتدى على مقدساتها ويسلبها حقها في إقامة شعائر دينها وفي حرمتها وفي عقيدتها ..

• ولقد فرض الله الجهاد بالمال ، وقدمه على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

[ التوبة : ٤١ ]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

[ الأنفال : ٧٢ ]

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

[ التوبة : ٢٠ - ٢٢ ]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[ الصف : ١٠ - ١١ ]

وعن أبي داود بإسناد صحيح . عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستكم» أخرجه النسائي .

• والحكمة في ذكر الأموال قبل الأنفس هو أن الجهاد بالمال قد يكون أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس ، لأن الجهاد بالمال أمر لا بد منه في تزويد الجيش بمطالبه ، وهو كذلك أمر لا حدود له إذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، إذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه لأن الحرب تحتاج إلى مال غير محدود ، وبذلك يمكن للإنسان أن يشارك في الجهاد بماله إذا لم يجاهد بنفسه»<sup>(١)</sup> .

ووجه آخر من الحكمة في ذكر الأموال قبل الأنفس ، هو أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا في المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه من الناحية الاقتصادية كالطعام والوقود وغيرهما) بقدر استطاعتهم وبذلك يستفيدون من هذا الإسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونون راضين عن أنفسهم .

• كذلك فإن الجهاد بالمال يحقق الرهبة في قلب العدو من قوة المسلمين ، ذلك لأن المال وهو يعبر عن القوة الاقتصادية ، هو عصب الحرب كما يقول العسكريون ، فإذا رأى العدو أنه سوف يواجه من قبل المسلمين بقوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا ينضب معينها ، فسوف لا يستهين بالمسلمين ولا يعلق أمله على التغلب عليهم .

---

(١) لاشك في أن المجاهد بنفسه وماله معا في طليعة المقربين إلى الله أكثر من المجاهد بأحدهما فقط ، ولكل درجات مما عملوا .

وهكذا يشكل الجهاد بالمال ركناً قوياً من أركان استراتيجية الردع الإسلامية ومن أجل هذا أجاز الإسلام لولى الأمر أن يأخذ من أموال الناس في زمن الحرب ما تدعو الحاجة إليه .

• والجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيقة أفضل منه في الأوقات الأخرى ، كما بين الله تعالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الإسلام في أول أمره في حاجة إلى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجاتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، مع أن الله وعد الجميع الحسنی على أصل البذل والجهاد ، لما فيه من النفع والفائدة وما لفاعلها من الأجر والثواب ، قال عز وجل :

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ﴾

[الحديد : ١٠]

• والأحاديث الواردة في فضل الجهاد بالمال وعظيم أجره وثوابه عديدة نذكر منها :

١ - عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من جهز غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله فقد غزاه» رواه الترمذي والبخاري ومسلم .

٢ - وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله ﷺ : «من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف» رواه الترمذى وحسنه والنسائى .

٣ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من احتسب فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة» رواه البخارى (ومثل الفرس كل عدة من عدد الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان) .

٤ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «من أنفق زوجين من شىء من الأشياء في سبيل الله ، نودى من أبواب الجنة كلياً : يا عبد الله هلّم» (أى أن كل أبواب الجنة تنادى عليه ليدخل وهذا زيادة فى التكريم) رواه البخارى .

• ولقد أنفق المسلمون الأولون أموالهم فى سبيل الله : مات الرسول ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير ، وأنفق أبو بكر جميع ماله فى سبيل الله ، وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين ، وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهز عثمان بن عفان جيش العسرة فى غزوة تبوك بالإضافة إلى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها من الغزوات .

أما آل محمد ﷺ ، فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : «والله ما أسمى فى آل محمد صاع من طعام وإنها

لتسعة آيات» . والله ما قالها استقلالا ، ولكن أراد أن تناسى به أمته .

هـ هذا ، وفي إطار الارتباط الوثيق الذي قرره الإسلام بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية ، وانطلاقاً من تكليف الأمة الإسلامية بالجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس ، فإنه يمكن استخلاص الأركان التي يقوم عليها اقتصاد الحرب في الإسلام كما يلي :

## ١ - مبدأ التخطيط الاقتصادي :

وهو يحقق أفضل النتائج ، لأنه من أفضل الوسائل العملية للربط بين الاستراتيجية والاقتصاد بحيث يمكن استخدام الموارد الإنتاجية للأمة بسرعة وفاعلية وقت الحرب ، فإن مقتضى التكليف بالجهاد بالمال ، أن يكون المال مال الأمة وهي تحارب لدفع العدوان ، ومن ثم فإن التخطيط الاقتصادي يكفل توجيه المال نحو الأهداف المنشودة لصالح الدفاع عن الأمة وأمنها ، بعيداً عن أشكال الاحتكار أو الصراع على الأرباح أو غيرها مما يعيق اندفاع عجلة التنظيم الاقتصادي.

## ٢ - التبعة الاقتصادية فريضة وتكليف :

إن التكليف بالجهاد ، هو تكليف بالجهاد بالأموال والأنفس ، وعلى هذا الأساس فإن المؤمنين يستجيبون لتفسير الجهاد «بأموالهم وأنفسهم» ، ولا يستأذنون فيما هو فريضة وتكليف كما يفهم من قوله الله تعالى :

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ، إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾

[التوبة ٤٤ : ٤٥]

وبهذا المفهوم أيضاً فإن تكاليف المعركة لا تحتل أن تأخذ صفة الهبات أو التبرعات أو التراحم بل هي «تكافل عام» مفروض على أبناء الأمة الإسلامية جميعاً .

### ٣ - التكامل الاقتصادي للأمة الإسلامية :

ولا بد أن يقوم النظام الاقتصادي للأمة الإسلامية على أساس التكامل ، لأن التكامل يحقق لها الاكتفاء الذاتي ، وهو مطلب حيوي لبناء القوة وخاصة في ظروف الحرب ، لأنه لا يضع الأمة الإسلامية تحت رحمة الاحتكارات الدولية أو تقلبات السياسة والمصالح العالمية ، ولأنه هو الضمان الأكيد لفاعلية القوة واستمرارها وتطورها .

### ٤ - العمل ومضاعفة الإنتاج :

من العناصر الرئيسية للبيان الاقتصادي العمل والإنتاج ، لكن أهمية هذين العنصرين تزيد وتتضاعف في أوقات الشدة والحروب ، حيث تصبح مضاعفة الإنتاج من الضرورات الحيوية التي تفرضها المعركة .

ومن الطبيعي أن متطلبات القوات المسلحة من المؤن والذخائر والأسلحة

والوقود وغيرها تزيد وقت الحرب ، ثم إنها لا تحتمل التأجيل أو التعرض للأزمات أو الاختناقات ، الأمر الذي يستدعى تخزين كميات كبيرة من مختلف السلع والمواد اللازمة للقوات المسلحة أو الشعب عامة ، وذلك لمواجهة الأزمات التي تحدث عادة في الحرب نتيجة لما تتعرض له أدوات الإنتاج كالمصانع والمنشآت الاقتصادية والمستودعات ووسائل النقل والمواصلات من الإصابة والتدمير .

ثم إنه في وقت الحرب وبمقتضى إعلان النفير العام (التعبئة العامة) فإن كثيراً من العاملين في المصانع والمزارع وغيرها من مصادر الإنتاج يطلبون للقتال ، فيصبح من الضروري أن تظل هذه المصادر محتفظة بطاقتها الإنتاجية كما كانت عليه قبل النفير ، ويتحقق لها ذلك بالتدريب الجيد للعمال الجدد لكي يسدوا للفراغ ، ويرفع كفاءة جميع العاملين ليتقنوا العمل ويضاعفوا الإنتاج إلى غير ذلك من التدابير .

ومن أجل تعبئة هذه القوى والقدرات يوجه الإسلام إلى الإخلاص في العمل وإتقانه كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[الكهف - ٧]

وفي قوله جل شأنه : ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[التوبة - ١٠٥]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ  
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾

[الكهف - ٣٠]

وقد قال الرسول ﷺ :

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (رواه أبو يعلى)  
وأشاد ﷺ برجل رآه يضرب اللبن في بناء المسجد النبوي بأحسن  
ما كان يضربه أخوه فقال له : «الزم هذا فإنى أراك تحسنه ورحم الله امرأ  
أحسن من صنعته» .

وقال ﷺ لمعاذ وقد وجد في يده خشونة من العمل : «يد لن تمسها  
النار» وكررها .

كذلك يوجه الإسلام إلى التخطيط العلمى الذى هو أساس إتقان العمل  
وزيادة الإنتاج والاستعداد لمواجهة الأزمات ، وهو ما يفهم من قول الله  
تعالى : ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروها فى سنبله إلا قليلاً  
مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداداً يأكلن مما قدمتم لهن إلا قليلاً  
مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فى يغات الناس ، وفيه يعصرون﴾  
[يوسف : ٤٧ - ٤٩]

وقوله جل شأنه : ﴿ولمّا بلغ أشده واستوى آتيناها حكماً وعِلْماً وكذلك  
نجزي المحسنين﴾

[القصص : ١٤]

## ٥ - ضبط الاستهلاك ومحاربة الإسراف :

وذلك من الأمور التي يوجه إليها الإسلام لكي يتوفر للأمة فائض من الإنتاج يمكنها من مواجهة الأزمات ويجنبها آثار الحصار الاقتصادي أو الاحتكارات العالمية وقت الحرب . يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾

[الإسراء : ٢٧]

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

[الأعراف : ٣١]

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

[الإسراء : ٢٩]

وقال تبارك وتعالى في صفات عباد الرحمن : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

[الفرقان : ٦٧]

ويقول الرسول ﷺ :

«ما عال من اقتصد» أى ما افتقر من لا يسرف فى الإنفاق ولا يقتتر .

«الاعتقاد نصف المعيشة» (رواه البيهقي والطبراني عن ابن عمر رضى الله عنهما)

- «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» (رواه مسلم عن أبي هريرة) .

- «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة» .

## ٦ - تحريم الاحتكار واستغلال ظروف الحرب :

ويحرم الإسلام احتكار الأقوات واستغلال ظروف الشدة والحرب لتحقيق الأرباح الطائلة برفع الأسعار والغش في المعاملات ، ويصف الله التجار الأمناء الذين يقومون بواجبهم نحو الله والناس ولا تشغلهم أعمالهم عن الله فيقول : ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[النور : ٣٧ - ٣٨]

ويقول الرسول ﷺ :

- «التاجر الصديق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»

- «الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون» (رواه ابن ماجة والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

- «من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه» (رواه أحمد)

- وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ مر على صبرة<sup>(١)</sup> طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً . فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله . قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا .

- وخرج الرسول ﷺ يوماً إلى السوق فرأى الناس يتساومون ويتبايعون ، فقال : «يا معشر التجار .. يا معشر التجار» فرفعوا أعناقهم واستجابوا وأنصتوا ، فقال : «إن التجار يعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبراً وصدق».

---

(١) الصبرة بضم الصاد : الكومة من الطعام .